وفاة يزيد

مات يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة (٦٤هـ) وهو في سن الثامنة والثلاثين من عمره في حوارين دمشق، واستمر حكمه ثلاث سنوات وبضعة أشهر .

ثم مَلَكَ من بعده ابنه معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية[١].

خلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة (٦٤هـ / ٦٨٥م)

ملك أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر ثم صعد المنبر وقال: (يا أيها الناس، إن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو احق به منه لقرابته لرسول الله (ص) وهو علي بن ابي طالب (ع) وركب بكم ما تعلمون حتى اتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه، ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه)، ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه وقال: (إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله (ص) وأباح الحرم وضرب الكعبة، وما انا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم، فشأنكم وامركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظاً، وإن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها)، ثم دخل منزله وتغيب حتى مات في سنته بعد أيام وقيل مات مسموماً وليس له من الخبار ما يُؤثَر[٢].

فانشقت القيادات المؤيدة لبني أمية على نفسها الى كتلتين:

١– كتلة القبائل اليمانية بقيادة حسان الكلبي، وتؤيد زعامة مروان بن الحكم.

٢– كتلة القيسيين بقيادة الضحّاك بن قيس الفهري، تؤيد عبد الله بن الزبير .

واشتبكت الكتلتين بمعركة (مرج راهط) التي تقع شرق دمشق، انتصر فيها الكلبيين، فأصبح (مروان بن الحكم) خليفة وبذلك انتقلت الخلافة الى البيت المرواني[٣].

خلافة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ / ٦٨٤-٦٨٥م)

لما انتصرت كتلة الكلبيين في معركة (مرج راهط) استمر النزاع بين أنصار البيت الاموي على من يتولى الخلافة حتى عقدوا مؤتمر الجابية الذي أقروا فيه الخلافة لمروان بن الحكم ومن بعده خالد بن يزيد بن معاوية ومن بعده لعمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق، وبذلك أرضوا جميع الأطراف التي كانت تتطلع للخلافة، وكان في ذي القعدة عام (٦٤هـ).

---

(١) أبن بكار ، نسب قريش ، ص٢١٠.

(٢) المسعودي ، مروج ، ج٣ ، ص١١١.

(٣) ينظر : عبد الامير دكسن ، الخلافة الأموية ، ص٣٤.

تابع مروان نشاطه فجهز جيشاً بقيادته الى مصر التي استقلت عن بلاد الشام لطرد عبد الرحمن بن جحدم عامل عبد الله بن الزبير، وبعد معركة محسومة دخل مروان عين شمس ثم الفسطاط بعد هزيمة ابن جحدم في أول جمادي الأولى سنة (٦٥هـ)، وبنى الدار البيضاء لتكون مقراً له ثم عاد الى الشام مخلفاً ابنه عبد العزيز في مصر والياً عليها، وأعدّ جيشين، أحدهما سيَّره الى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي بسط نفوذه في الحجاز فحلت الهزيمة في جيشه هناك، والآخر الى العراق الذي تمكن من القضاء على ثورة التوابين[1].

ثورة التوابين

اجتمع ناس من أهل الكوفة من الذين كاتبوا الامام الحسين (ع) وبايعوه على النصر والمساندة لكنهم خذلوه ولم ينصروه وتخلوا عنه فندموا على فعلتهم وتابوا من ذلك فسُمو بالتوابين، وكان يتزعمهم خمسة من رؤسائهم هم:

١- سليمان بن صرد الخزاعي.

٢- المسيب بن نجبة.

٣- عبد الله بن سعد بن نفيل.

٤- عبد الله بن وائل.

٥- رفاعة بن شداد.

واستمرت هذه الحركة سرية في عملها حتى وفاة يزيد سنة (٦٤هـ) وكان هدفها هو الثأر من قتلة الحسين (ع)، ولقد سمح عامل ابن الزبير على الكوفة عبيد الله بن يزيد الأنصاري للتوابين في العمل بحرية وبالظهور والانتشار طالما انهم لم يخرجوا عليه، وطلب منهم التوجه لقتال عبيد الله بن زياد الذي كان يتقدم على رأس جيش كبير نحو الكوفة، فاختار التوابين سليمان بن صرد الخزاعي أميراً عليهم، وتقدم لملاقاة ابن زياد في أربعة آلاف مقاتل بعدما بايعه (١٨) ألف من اهل الكوفة، ونزل قرقيسيا وأقام لخمسة أيام في منطقة عين الوردة، وفي الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة (٦٥هـ) تقابل الجيشان في عين الوردة وكان الحُصين بن نُمير يقود جيش الشام ودارت معركة حاسمة بينهما انتهت بانتصار أهل الشام وقُتِلَ سليمان بن صرد وبعض القادة الخمسة، اما الباقين فهربوا وتفرق شملهم فيما بعد، وقسم منهم التحق بالمختار الثقفي عند قيامه[2].

---

(١) ابن الأزرقي، أخبار مكة، ص٢٢٢.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف، ج١، ص٣١١.

ثورة المختار الثقفي

ظهر المختار بن ابي عبيدة الثقفي مستنهضاً اهل العراق لأخذ الثأر من قتلة الحسين (ع) بعد فشل ثورة التوابين، وكاتب المختار كلاً من الإمام زين العابدين عليه السلام وعمه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية، فلم يعلن الإمام عن تأييده الصريح له لكنه أمضى عمله عندما ثأر من قتلة ابيه الحسين (ع)، ثم ان المختار قَوِيَتْ شوكته ففتك بقتلة الحسين (ع) فضرب عنق عمر بن سعد وابنه، وقال: (هذا بالحسين وابنه علي، والله لو قتلت به ثلثي قريش ما وفوا بأُنملة من انامله)، ثم ان مروان أرسل عبيد الله بن زياد في جيش كثيف فأرسل اليه المختار ابراهيم بن مالك الأشتر فالتقى الجيشان بنواحي الموصل في (معركة خازر) فقتله ابراهيم وأرسل برأسه للمختار الذي أرسله للمدينة مع رأس عمر بن سعد الى الامام زين العابدين عليه السلام الذي سجد لله شكراً وقال: (الحمد لله الذي أدرك ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً)، وقيل ان الإمام زين العابدين (ع) لم يُرَ ضاحكاً منذ ان استُشهِدَ ابوه إلا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة، وقال بعض المؤرخين: انه لما رأى رأس الطاغية قال: (سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة، لقد أُدخل رأس "ابي عبد الله" على ابن زياد وهو يتغدى).

ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعباً وكان شجاعاً فتاكاً الى المختار فقتله، وبقيت الحال كما هي عليه، فقد أدركت مروان بن الحكم منيته سنة (٦٥هـ) بعد ان عهد بلخلافة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز[١].

كيفية وفاته:

بعدما بويع مروان بالخلافة تزوج من أم خالد بن يزيد منافسه على الخلافة ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة، ودخل عليه ذات يوم فقال له مروان: يا ابن الرطبة ونسبه الى الحُمق ليصغر أمره عند اهل الشام فخجل خالد وأخبر أمه فقالت: (لا يعلمن أحد أنك أعلمتني وانا أكفيكه)، ولما نام مروان عندها وضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات، ولما علم بذلك ابنه عبد الملك أراد قتلها فأشير عليه بالعدول عن رأيه حتى لا يتحدث الناس عن امرأة قتلت أباه فيلحق به العار، وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر، وصدق به قول أمير المؤمنين علي (ع): ((إن له أمره كلعقة الكلب أنفه))، وبويع من بعده لولده عبد الملك بن مروان[٢].

---

(١) البلاذري، أنساب الاشراف، ج١، ص٢١١-٢١٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٠.

خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م)

ولد عبد الملك بن مروان بالمدينة المنورة سنة (٢٦هـ) في خلافة عثمان بن عفان، وكان شديد السياسة حسن التدبير للدنيا، وفي أيامه نقلت الدووين من الفارسية الى العربية، وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم.

ومن طريف ما قيل: ان عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال اهل المدينة وغزو الكعبة، امتعض من ذلك غاية الامتعاض، وقال: ليت السماء انطبقت على الأرض، فلما صار خليفة فعل أشد من ذلك، فإنه أرسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو مكة، وكان عبد الملك قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة ويسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن، فلما آلت اليه الخلافة اطبق المصحف وقال: "هذا فراق بيني وبينك"، وتصدى لأمور الدنيا.

وقال يوماً لسعيد بن المسيب: (يا سعيد قد صرت أفعل الخير فلا أُسرَ به وأصنع الشر فلا أُساءَ به، فقال له سعيد: الآن تكامل فيك موت القلب)[١].

أعماله:

اعتُبِرَ عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني للدولة الأموية التي أشرفت على الزوال فانتشلها من الفوضى التي وصلت اليها وخلصها من الفتن التي كادت تطيح بها.

فقد كان عبد الله بن الزبير خليفة بالحجاز والبصرة، والمختار بن ابي عبيد الثقفي أميراً على الكوفة، ولم يبقى للدولة الأموية سوى الشام ومصر، وقد أخذ عبد الملك في مبدأ عهده بشن الغارة على أعدائه، ولم يمضِ سبع سنين حتى استقامت له الأمور وهدأت الأحوال.

روى المسعودي: ان عبد الملك سار في سنة (٦٦هـ) لقتال المختار بالكوفة وبينما هو في الطريق أتاه خبر مقتل القائد الذي أرسله لحرب ابن الزبير بالمدينةثم جاءه خبر مسير امبراطور الروم ونزوله المصيصة "وهي من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم بقرب طرسوس" في طريقه للشام وجاءه ايضاً ان عبيد دمشق واوباشهاخرجوا على أهلها وان المسجونين فيها فتحوا السجن وخرجوا منه، وان اعراب البادية اغارت على حمص وبعلبك وغيرها، أما أخطر الأخبار فهو خروج عمرو بن سعيد الأشدق الذي خلفه على دمشق عليه ودعا الناس الى بيعته وامتنع فيها، فكرَّ راجعاً لدمشق واجرى محادثات ومكاتبات مع الأشدق وناشده عبد الملك الرحم بينهما وان ما صنعه قوة لابن الزبير وأعداءه الآخرين وأطمعه بأن تكون ولاية العهد له من بعده فرضى وصالح[٢].

---

(١) الطبري ، تاريخ الملوك ، ج٧ ، ص٨.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٢٣.

وبقي عمرو بن الأشدق متحيزاً في خمسمائة فارس يزولون معه حيث زال، واستطاع عبد الملك بدهائه ان يستدرجه يوماً الى قصره ويفصله عن جماعته ويقتله ويرمي برأسه من أعلى القصر لأصحابه فماجوا قليلاً ثم رمى عليهم الدنانير ونثر عليهم الدراهم فتشاغلوا بها عن رأسه وعرض عليهم الأمان فأجابوا جميعاً بالسمع والطاعة. ثم خرج عبد الملك للصلاة فصعد المنبر وذكر عمرواً وخلافه وشقاقه فوقع فيه.

وفي سنة (٧٢هـ) خرج مصعب بن الزبير في اهل العراق لمقاتلة عبد الملك الذي خرج اليه في عساكر الشام والجزيرة وعلى مقدمته الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان على مقدمة جيش العراق ابراهيم بن مالك الأشتر فالتقيا في أرض العراق قرب قرية مسكن على شاطئ دجلة فاقتتلوا حتى المساء، وقد أشرف ابراهيم بن مالك على الفتح لكن خيانة بعض قُواده وممالأتهم لعبد الملك بن مروان الذي شرى ذممهم بالأموال عجلت بنهايته فقُتل[١].

وسار عبد الملك في صبيحة تلك الليلة حتى نزل بدير الجاثليق (الكاثوليك) فالتقى بمصعب بن الزبير الذي تخلى من كان معه من مُضر واليمن والتحقوابعبد الملك بن مروان فبقي في نفر يسير وحاول عبد الملك ان يكسب وده لصداقة قديمة كانت بينهما تمتد لثلاثين سنة خلت وطلب منه ان يترك أخاه عبد الله ويوليه العراق (البصرة والكوفة)، لكنّ مصعب رفض ذلك وأصر على القتال فقاتل حتى قُتل وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سنة (٧٢هـ) ودفن هو وابنه عيسى بدير الجاثليق[٢].

وسار عبد الملك بن مروان حتى دخل الكوفة، روى المسعودي عن ابي مسلم النخعي قال: دخلت قصر الإمارة وإذا بعبد الملك بن مروان وامامه رأس مصعب بن الزبير فاضطربت اضطراباً شديداً رآه عبد الملك فسألني فقلت: دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين (ع) بين يدي ابن زياد في هذا الموضع، ثم دخلتها في قابل الأيام فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم دخلت فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، وهذا رأس مصعب بين يديك، فوثب عبد الملك وأمر بهدم تلك الدار وكأنه هو عامل هذه المقاتل[٣].

حرب ابن الزبير

خرج الحجاج في جيش من الشام والكوفة يبلغ عشرين ألفاً لحرب ابن الزبير بمكة في شهر ذي القعدة سنة (٧٢هـ) حتى نزل بمنى ونصب المنجنيق على جبل ابي قبيس وسائر جبال مكة

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢١١.

(٢) أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٧٨.

(٣) المصدر نفسه .

فحاصر ابن الزبير ومن معه في الحرم ورماهم بالحجارة، فلم يزل يرميه بالمنجنيق حتى هدم الكعبة، وكان ابن الزبير شديد البُخل فتفرق عنه جنوده حتى ان أخيه عروة بن الزبير مال الى عبد الملك وخرج اليه، وعرض الحجاج الأمان لعبد الله بن الزبير ومن معه فاستشار أمه أسماء بنت أبي بكر فرفضت ذلك وقالت: (أي بُني إياك ان تُعطي بيديك او تؤسَر مُتْ كريماً ولا تقبل خطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل).

فجعل يقاتل اهل الشام فيهزمهم تارةً وتارةً يلجأ الى البيت، وتكاثرت عليه الرجال من اهل الشام فشُدخ بالحجارة فانصرع، وأمر الحجاج به فصُلب ثلاثاً او سبعاً، ثم جاءت أمه أسماء وهي عمياء ثُقاد حتى وقفت لدى الحجاج وقالت: (أما آنَ لهذا الراكب ان يُنزل بعد؟)، فأمر به فأُنزل ودُفِن.

وكان عبد الله بن عمر قد جاوز الثمانين من عمره قد حمل السلاح مع ابن الزبير وخاف انْ يناله الحجاج بشر فقصده ليلاً يبايع لعبد الملك لكي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام فبلغ من احتقار الحجاج له واسترذال الحال به أن أخرج له رجله من فراشه وقال له: اصفق بيدك عليها ففعل، وولي عبد الملك الحجاج الحجاز من سنة (٧٣ الى ٧٥هـ)[١].

الحَجاج في المدينة

في سنة (٧٤هـ) سار الحجاج الى المدينة فأخذ يتعنت على اهلها ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله (ص) وختم في أيديهم واعناقهم بالرصاص يذلهم بذلك لكنه لم يَعرض لآل أبي طالب لأن عبد الملك كتب إليه: (جنبني دماء آل ابي طالب، فإني قد رأيت المُلك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم)، فكان الحجاج يتجنب آل أبي طالب خوفاً من زوال مُلك آل مروان لا خوفاً من الله عز وجل.

وباليت عبد الملك بن مروان كما أوصى عامله الحجاج بأن لا يتعرض لآل أبي طالب كان يوصيه بأن لا يهين رسول الله (ص)، فإن الحجاج لما رأى الناس يطوفون بقبر الرسول ومنبره قال: (تباً لهم إنهم يطوفون بأعواد ورمةٍ بالية هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟!! ألا يعلمون ان خليفة المرء في أهله خير من رسوله اليهم). ويا ليته أخذ بيده في سفك دماء الآلاف الأبرياء على الظنة والشبهة، وكما تتبع شيعة أهل البيت (ع) واصحابهم[٢].

الحَجاج في العراق

في سنة (٧٥هـ) ولّى عبد الملك الحجاج العراق وسار اليها في جيش من أهل الشام، وأبقى جيشه في القادسية ودخل الكوفة مع اثني عشر رجلاً فصعد المنبر متلثماً ولما تكاثر الناس كشف

---

(١) ينظر : عبد الأمير دكسن ، الخلافة الأموية ، ص٣٨.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٢٣.

عن لثامه وخطب فيهم خطبة كلها استهتار وتوعد بأهل العراق لما كان منهم من شق عصا الطاعة وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة: إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وأني لصاحبها، وكأني أنظر الدماء بين العمائم واللحى.

وهذه الخطبة تبين السياسة التي رسمها الحجاج للسير عليها مع اهل العراق، وهي سياسة حزم ممزوج بالظلم والجبروت ولا غرور فقد أخذ الناس بغير هواده وقتلهم تحت كل حجر ومذر.

ثم سار الى البصرة وخطب بالناس خطبة لا تختلف في معناها ومرماها عن خطبته في الكوفة، ثم عمل على معاونة المُهلب بن أبي صفرة في حرب الخوارج، وبنى الحجاج مدينة واسط سنة (٨٦هـ) وسكن فيها[١].

أعماله الأُخرى:

أ- واجه الحجاج محنةً كبيرةً وخطراً شديداً حينما خلع عبد الرحمن بن الأشعث طاعته وانقاد اليه اهل كرمان والري والجبال لأنه أخشن اليه القول حينما ولّاه على رأس جيش لفتح المدن السابقة، فكرّ راجعاً بجيشه لخلع الحجاج من الكوفة، فاستنجد الأخير بعبد الملك طالباً النجدة فأمده بالجيوش والتقى بابن الأشعث في منطقة (دير الجماجم)، ودارت بينهما الحرب سجالاً حتى دارت الدائرة على ابن الأشعث فهرب الى بلاد الهند فأرسل الحجاج خلفه من يقتله فقُتِلَ هناك وأتى برأسه الى الكوفة، وأسرف الحجاج في قتل الأسرى، ومما زاد في خطورة هذه الثورة انتساب عدد كبير من قُراء أهل العراق اليها حتى سُميَت بثورة القُراء، وهكذا اخضع الحجاج بلاد العراق وما والاه من بلاد المشرق[٢].

ب- أسند الحجاج ولاية خراسان للمُهلب بن أبي صفرة فقام بكثير من الفتوح في هذه البلاد، وأرسل أولاده لغزو الكثير من الأراضي المحاذية، فأرسل ابنه يزيد على رأس قوة لغزو الختل وأرسل حبيب الى رابنجان وبخارى، لكن المُهلب مات في ذي الحجة سنة (٨٠هـ) على مقربة من مرو الروز، وولى ابنه يزيد مكانه الذي استهل عده بغزو خوارزم.

ج- ولّى الحجاج قُتيبة بن مسلم الباهلي خراسان بعد يزيد فوصل الى مرو قبل نهاية سنة (٨٥هـ).

---

(١) أبن الأثير ، أسد الغابة في معرفه الصحابة ، ج٤ ، ص١٠.

(٢) المصدر نفسه .

د- ألح الحجاج في قتال الخوارج وخاصة الأزارقة منهم، فما زال يهزمهم من منزل الى منزل وقد قتل منهم مقتلة كبيرة[1].

ضرب النقود الإسلامية

وقع خلاف بين ملك الروم والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على قراطيس كانت عليها طراز بالرومية ويُذكر فيها شعار النصرانية منعها عبد الملك من التداول بعدما تُرجمت له، فكَتَب اليه ملك الروم أن يعيدها على حالها السابق وإلا لأمر بنقش الدنانير (التي كانت تضرب بالرومية) بشتم النبي، فأستشار عبد الملك أصحابه فأشار عليه روح بن زنباع الجذامي بالاستعانة بالإمام محمد الباقر عليه السلام، فاستعان عبد الملك بالإمام الذي جاء دمشق وأمره بإحضار الصُناع والصاغة وطلب منهم ان يضربوا بين يديه سكاكاً وان يُجعل النقش على وجه منها سورة التوحيد وعلى الوجه الآخر شهادة الإسلام وأن يجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيه والسَنة، ثم فصل ذلك على أوزان الدراهم والدنانير وباللغة العربية.

وفاة عبد الملك بن مروان ووصيته الأخيرة

حينما مرض عبد الملك مرضه الذي مات فيه، دعا ولديه الوليد وسليمان وقال للوليد: ((اسمع يا وليد، قد حضر الوداع وذهب الخداع وحل القضاء، فبكى الوليد فقال له: لا تعصر عينيك عليَّ كما تعصر الأمة الوكاء (القربة)، إن أنا مت فاغسلني وكفّني وصل عليَّ .... واخرُج للناس والبس لهم جلد النمر واقعد على المنبر وادفع الناس الى بيعتك، فمن قال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا!! وتنكر للقريب واسمع للبعيد، واوصيك بالحجاج خيراً فإنه هو الذي وطّاكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائر))، ثم مات سنة (٨٦هـ) بعدما أوصى بولاية العهد لولده سليمان[2].

قال ابن الوردي: (قال فيه الحسن البصري: ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته).

وقال عنه السيوطي: (لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يذلهم ويهينهم حبساً وشتماً وضرباً وقتلاً وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يُحصى فضلاً عن غيرهم .... فلا رحمه الله ولا عفى عنه).

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٠٣.

(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص٣١١.

تعريب الدواوين والنقود الاسلامية[1]

أن من اهم الاعمال التي حدثت في عهد عبد الملك بن مروان هي عملية تعريب دواوين الخراج .

والمقصود بهذه العملية هي عملية نقل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية ، وهي تلك الحركة التي قام بها عبد الملك بن مروان واكملها الخلفاء الأمويين بعده ،وكانت هذه الحركة جزء من عملية تغريب واصلاح شاملة وسياسية مرسومة ، حان وقت تنفيذها ،وكانت تهدف الى اعادة تنظيم كل اجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية.

أما أهم اسباب عملية التغريب فيمكن إجمالها مما يلي :-

١. استقرار أوضاع الدولة الداخلية وما رافقه من تطور حضاري صاحبه ظهور عدد من الكتاب العرب والموالي ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة الى اللغات الأجنبية ،والرغبة الشديدة لدى الدولة ممثلة بشخص الخليفة عبد الملك بن مروان وتطلعاته القومية في رسم المستقبل على أسس قوية ترتكز على لغتها لغة الدين والسياسة.

٢. كانت للعوامل المالية والأقتصادية أثراً مهماً في تغريب دواوين الخراج ، حيث كان متولي هذه الدواوين يحصلون على اموال طائلة من عملهم هذا ، مما يؤدي او يؤثر سلباً في وواردات بيت المال واقتصاد الدولة. لذلك كانت عملية التغريب خطوة اولى باتجاه اعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الأقاليم وضبط أعمال الدواوين والأشراف الدقيق عليها ، فمنع الغش والتزوير وهو بذلك جزء من خطة الاصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة ماسه اليه آنذاك.

٣. كان عبد الملك بن مروان يهدف من عملية التغريب الى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها بتوحيد النظم المالية والأدارية ،وأنهاء التأثيرات الشعوبية والعنصرية.

٤. كذلك ان بقاء اللغات الأجنبية مستعملة في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب او من غير المسلمين مما يؤدي الى منافسة هذه اللغات للغة العربية ، مما يضعف كيان الدولة ، حيث يتعارض ذلك مع سياسة الدولة واستقلالها ، لذلك كان الحرص على سلامة اللغة العربية . من العوامل المهمة لتعريب الدواوين حيث دخلت شعوب واقوام مختلفة الى الاسلام[2] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص٣١١.

(٢) ينظر : رشيد الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الأموي ، ص١١١.

عملية التعريب

كانت كل الدواوين التي يجري العمل بها منذ نشأتها باللغة العربية ، ماعدا ديوان الخراج الذي كان يستخدم اللغتان غير العربية ، أي الفارسية في بلاد فارس والعراق واليونانية في مصر وبلاد الشام.

واستمر هذا الوضع حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥-٨٦هـ) الذي تم في عهده تعريب دواوين الخراج ، حيث ان الحاجة الى استخدام اللغات غير العربية قد زالت بوجود عدد كاف من الموظفين العرب الذين يجيدون العمل في تلك الدواوين.

وقد استعد عبد الملك جيداً لهذا العمل ،وذلك عن طريق اعداد فريق من العاملين العرب المدربين للعمل في دواوين الخراج ، المجيدين للغة الفارسية واليونانية ، القادرين على ترجمة تلك الدواوين الى العربية ،ولم يكن هذا العمل بالسهل اليسير ، وانما تطلب جهداً وعملاً دائباً.

أ-تعريب دواوين الشام:٠

وكان أول ديوان تم تعريبه بأعتباره الديوان المركزي ،وهو ديوان دمشق عاصمة الدولة العربية الاسلامية واشرف على ذلك العمل سليمان بن سعد الخشني الذي كان يعد من ابرز الكتاب في عهد عبد الملك ،وقد شاركه عدد من كبار الموظفين ،وقد نجح سليمان في انجاز ذلك العمل في سنة كاملة ،وكافأة الخليفة على ذلك العمل بأعطاءه خراج اقليم الأردن لمدة عام كامل وكان ذلك في سنة ٨١هـ [١].

ب-تعريب دواوين العراق والمناطق الشرقية:

وقد تكفل بهذا العمل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، حيث نقل وترجم الدواوين فيها وفي بقية اجزاء الدولة الاموية من جهة الشرق وقد عهد الحجاج بهذه المهمة الى كتابه صالح بن عبد الرحمن .

ج-تعريب دواوين مصر:-

وقد تولى هذه المهمة عبد الله بن عبد الملك بن مروان والي مصر سنة ٨٠هـ) ونقل الدواوين من اليونانية الى العربية ،واستمرت هذه العملية حوالي نصف قرن ،وبعد ذلك اصبحت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة السائدة في المعاملات المالية في الدولة العربية الاسلامية.

ضرب النقود الاسلامية وتعريبها

تذكر الكثير من المصادر التاريخية ان الامام علي(ع) كان صاحب السبق والريادة في عملية تغريب النقود ومن الأدلة على هذه العملية هي وجود قطعة نقدية ضربت في عهده اي في

---

(١) رشيد الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الأموي ، ص١١١-١١٢.

سنة (٤٠هـ) ونقش على هذه العملية سورة التوحيد ،وقد احتفظت المكتبة الوطنية في باريس بقطعة من هذه العملية ، حيث اثبت المختصون في علم (النميات) (النقود) صحة ضرب هذه العملة من قبل امير المؤمنين(ع).

ولكن الأسف بسبب ظلم معاوية واتخاذه موقفاً سلبياً من امير المؤمنين (ع) ، ادى ذلك الى سدال الستار على هذا العمل الكبير وهي عملية سكة للعملة العربية ، حيث نسبت هذه الفضيلة كسابقة لعبد الملك بن مروان ، الذي لم يستطع اتمام هذا العمل الا بعد مشورة الامام الباقر (ع) الذي شرح له كيفية اتمام عملية الضرب ،مستفيداً من تجربة جيدة امير المؤمنين علي(ع)[1].

دوافع وأسباب عملية التعريب (النقود)

ذكر المؤرخون اسباب وروايات كثيرة في أسباب ودوافع تعريب النقود ويمكن الاشارة الى بعض هذه الاسباب وبشكل مختصر وهي:

١-كانت القراطيس للروم وكان اكثرهم في مصر هم من النصارى على دين ملك الروم ،وكانت تطرز بالرومية وطرازها (اب وابن وروح القدس) ،وعندما امر عبد الملك بترجمتها الى العربية انكر هذا الامر في بلاد المسلمين وامر بمنعها من التداول في البلدان الاسلامية ،وكتب الى عامله على مصر آنذاك وهو اخيه عبد العزيز ان يطرزها بسورة من القرآن لذلك وقع الخلاف بينه وبين ملك الروم الذي كتب اليه ان يعدها الى مالها السابق والا فأنه سوف يأمر بنقش الدنانير الرومية (شتم النبي) ،وهدده بقطع النقد عن المسلمين.

٢-اما الرواية الثانية فتلخص فيما يلي ، على اثر صراع عنيف واشتباكات بين الدولتين الرومانية والاسلامية على حدودها هدد ملك الروم عبد الملك بن مروان بقطع النقود عن البلاد الأسلامية وكان المسلمون يتعاملون بها ، لذلك اضطرب عبد الملك بن مروان لأن عملاً من هذا النوع يؤدي الى شلل الاقتصاد الاسلامي ، لذلك جمع اعيان المسلمين واستشارهم في الخروج من هذه الأزمة ،ولكنهم لم ينتهوا الى نتيجة حاسمة ، فأشاروا عليه بالرجوع الى الأمام الباقر (ع) فأرسل اليه كتاباً يدعوه فيه الى الحضور ، فلبى الامام الباقر(ع) الدعوة وحضر الى الشام ، فعرض عليه عبد الملك ما جرى له مع ملك الروم .

فقال له الأمام (ع) : ((لا يهولنك ما ترى أرسل الى ملك الروم واستمهله مدة من الزمن لترى رأيك فيما عرضه عليك وخلال تلك المدة ارسل الى عمالك في جميع المقاطعات وأمرهم بأن

---

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص١٣.

يجمعوا الذهب والفضة حتى الافراط ... حتى اذا توفرت لك الكمية الكافية باشر بصك الدرهم والدينار.

وحدد له الامام (ع) وزنهما وكيفيتهما وامره أن يكتب على احدى الجهتين محمد رسول الله وترك له ان يكتب على الجهة الثانية ما يريد ،واضاف الامام (ع) الى ذلك بعض التفاصيل ،وعند الانتهاء من ذلك ضع الدرهم والدينار في ايدي المسلمين وامنع من التعامل بغيرها حتى لايبقى لملك الروم سلطان عليك)).

لذلك لم يجد عبد الملك بديلاً لهذا الرأي وباشر بتنفيذه في الحال.

وخلال اشهر معدودات كان النقد الجديد في ايدي المسلمين يتعاملون به بدلاً من النقد الروماني[1].

خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥م)

تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة من بعد ابيه عام (٨٦هـ) وظل بها عشر سنين، وكان عهده عهد فتح ويسر ورخاء وأحبه أهل الشام، فقد بنى الجوامع (جامع دمشق وجامع المدينة والمسجد الأقصى) وفتح في خلافته فتوحاً عِظاماً فاتسعت رقعة الدولة الأموية شرقاً وغرباً، وكان لَحاناً لا يُحسن النحو وطالما أخطأ في كلامه حتى قال له أبوه: إنه لا يلي العرب إلا مَنْ يُحسن كلامه.

وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع والضياع، وعُرف بعطفه على الفقراء والمعوزين وأعطى المجذّمين ومنعهم من سؤال الناس، وأعطى كل مُقعَد خادماً وكل ضرير قائداً[2].

الفتوح في عهد الوليد

تمكن الوليد من إعادة الفتوح التي تمت في عهد من سبقه من الخلفاء، وقد اشتهر ثلاثة من القادة كان لهم أثر عظيم في هذه الفتوح هم:- قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي وموسى بن نصير.

– أما قتيبة، فقد تولى مشرق الدولة الاسلامية، ففتح بلخ والصغد ونهر جيحون حتى وصل بخارى وفتحها بعد ان لقى عناءً كبيراً، وفي سنة (٩٣هـ) فتح مدن خوارزم صلحاً وسمرقند وبعد فتحها قرر ان يمد حدود الدولة العربية في أواسط آسيا، وكان من أثر فتح بلاد ما وراء النهر انْ دخل الإسلام فيها ومضى قُتيبة قدماً سنة (٩٦هـ) الى حدود الصين في محاولة لفتحها، وبينما هو في

---

(١) ينظر : عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية ، ص٢٠٩.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٠.